نشرت المجلة في عددها السابق في باب تعليقات ومناقشات بحثاً للأستاذ صبحي البصام موسوماً بـ (تقعيد قاعدة نحوية إضافة الجهات الأربع)، وإتماماً للفائدة تنشر المجلة ثلاثة تعقيبات على البحث المشار إليه وصلتها من الأستاذ حمد الجاسر، والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور جعفر عبابنة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق الأستاذ حمد الجاسر

رئيس تحرير مجلة "العرب"

المملكة العربية السعودية

أُمتعتُ بقراءة بحث أستاذنا الجليل صبحي البصّام (تقعيد قاعدة نحوية، إضافة الجهات الأربع) الذي نشرته مجلة مجمعنا الكريم[1].

وقد استوقفني منه استشهاده – رعاه الله – على (شرقي) بقول زهير بن أبي سُلْمى:

ثم استمرُّوا وقالوا: إنّ مشربكم ماء بشرقيّ سلْمَى (فَيْدْ) أو (فَدَكُ)

مشيراً إلى "ديوان الشاعر"، وكنت أحفظ البيت بلفظ: (فَيْدُ) أو (رَكَك)، ولا أزال أذكر ما أورده بعض اللغويين في اسم (رَكَك) ومنه أدركت أنه الموضع المعروف باسم (رَكٌ) فكّه الشاعر للضرورة، وكنت قد عُنيت بتحديد الموضعين – بل المواضع الثلاثة (فَيْد) و(رَكَك) و(فَدَك) في القسم الذي خصصته لتحديد المواضع الواقعة في شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية

السعودية" – وصدر هذا القسم في ثلاثة أجزاء، إلا أن الرواية التي أوردها أستاذنا البصام – على غرابتها – دفعتني لمراجعة الديوان مرة أخيرة بعد مرات كثيرة، لكثرة المواضع التي تعرضت للحديث عنها في شعر زهير.

والأستاذ – أمتعه الله بالصحة والعافية – لم يشر إلى أية طبعة من طبعات الديوان المتعددة، ولدي طبعتان منها، رجعت إليهما، فلم أجد فيهما سوى ما كنت أحفظ، فقلت: ليس غريباً من الأستاذ الجليل – وقد أصبحنا سيّان ينطبق علينا وصفه البليغ: (ثم إني وجدتني قد أخذت السنُّ مني، وتقعقع شَنَّي، وانحنت صَعْدتي)[٢]، وأضيف: (وعبث النسيان بما تختزنه الذاكرة، بحيث اختلط، وارتعشت اليد، فعندما تكتب حسناً يبدو خشناً)، ولا ينبئك مثل خبير، فالله المستعان.

ولعل من خير ما أعبر به عن تقديري للأستاذ مذاكرة القراء في هذه الأسماء الثلاثة، لتكررها في الأخبار والأشعار، مذاكرة استفادة واستزادة، وله الفضل في ذلك حيث فتح المجال، وأدع التوسع في تحديدها وما ورد من النصوص القديمة عنها لمن أراد هذا بالرجوع لما أوردته في ذلك الكتاب.

١ – **ركك:** يبدو أن هذا الاسم لا يخص موضعاً واحداً، فقد ورد في شعر منسوب لأبي دهبل الجمحي وللعرجي، ولعمر بن أبي ربيعة، والثلاثة حجازيون، ونص ما ورد في ديوان الأول[٣]:

أجَزْنَ الماءَ من (رَكَكٍ) وضَوْءُ الفَجْرِ قدْ وضَحَا
فقُلْنَ: مقيلُنَا (قَرْنٌ) نُباكِرُ ماءَهُ صبحَا

فـ(ركك) هذا في الحجاز لاقترانه بذكر (قَرْن) الوادي المعروف الواقع بين (مكة) و(الطائف)، ولا صلة له بـ(فيد) البلدة المعروفة في (نجد)، شرقي

جبل (سلْمى)، الوارد في شعر زهير بن أبي سُلْمَى المزني، ومُزَينة من أهل الحجاز، ولكن زهيراً عاش في كنف أخواله بني عبد الله بن غطفان في (نجد)، وكذا آله، ولهذا قال مزرد بن ضرار الغطفاني يهجو كعب بن زهير:

وأنت امرؤٌ من أهل (قُدْسٍ) و(آرَةٍ) أحلّتْكَ عبدُ الله أكنافَ (مُبْهِلِ)[٤]

(قدس) و(آرة) جبلان مشهوران بين (المدينة) و (مكة)، وبلاد مزينة في أكنافهما، و(مُبْهِل) الوارد في البيت واد من روافد وادي (الرُّمة) الشمالية، يُعْرَف الآن باسم (المحْلاني) يقع بقرب (خط الطول: ١٢/ ٤٢° وبين خطي العرض: ٤٥/ ٢٥° و ١٥/ ٢٦°) في شمال (نجد).

و(رَكَك) الواقع شرقي (سلْمى) يعرف الآن باسم (رَكّ) وهو وادٍ من أشهر أودية جبل (سلمى) الشرقية، يتجه صوب الشمال، حتى يلتقي بوادي (العدْوة) مجتمع أودية (سلْمى) الغربية، ثم تفيض سيولها في روضة (الرّشاوية) روضة تبعد عن الطرف الشرقي من (سلمى) بنحو عشرين كيلاً[٥]، وفي وادي (رك) قرية بهذا الاسم، ذات نخل، وآبارها عذبة الماء، تبعد عن مدينة (حايل) قاعدة المنطقة نحو سبعين كيلاً، في الجنوب الشرقي، من هذه المدينة، وأكتفي بإيراد شواهد موجزة على هذا مما ورد من كلام المتقدمين:

قال الهجريُّ: وسألت الأشجعيَّ عن (ركك) فقال: ماءة في شعب بـ(سلمى) بين نبهان[٦]، شرقياً.

وقال نصر[٧]: (ركّ) اسم ماء، وفي الشعر (ركك) وفي "معجم البلدان": (ركك) محلة من محالّ (سلْمى)، قال الأصمعي: قلت لأعرابي: أين (ركك)؟ قال: لا أعرفه، ولكن ها هنا ماء يقال له (ركّ) فاحتاج، ففكَّ تضعيفه زهير:

ثم استمروا فقالوا: إن موعدكم ماءٌ بشرقي (سلمى) (فَيْدُ)أو(رَكَكُ)

إذَنْ (رك) المعروف الآن شرقي (سلمى) هو (ركك) السوارد في شعر زهير.

ويفهم من جَوّ قصيدته أنه وصف ركباً متجهاً من شرق (الدهناء) – حيث ذكر (كثبان أسنمة) و (القسوميات) وهما معروفان هناك – متجهاً غرباً، حيث تواعدوا شرقي (سلمى).

٢ – فيْد: بلدة لا تزال معروفة شرقي (سلْمَى) أيضاً، هذه بجانبها الشرقي الجنوبي، و(ركّ) بجانبها الشرقي الشمالي، (فيد) بقرب (خط الطول: ٣٠/٤٢° وخط العرض: ١٠/٢٧°).

و(رك) بقرب (خط الطول: ٢٢/٤١° وخط العرض: ١٧/٢٧°).

٣ – فدك: اسم (فدك) ليس معروفاً الآن، مع شهرته العظيمة قبل الإسلام، ثم في صدره حين غزا الرسول – صلى الله عليه وسلم – (خيبر) فاستولى على البلاد، وصالح أهلها من اليهود على البقاء في فلاحتها، على أن للمسلمين الحق في إجلائهم منها، فتم هذا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد ما أخلُّوا بما اشترط عليهم في المصالحة.

وأما (فدك) فالاسم إذ ذاك يطلق على جانب من منطقة (خيبر) الخصبة الواسعة، فبعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – إلى (فدك)، فاستسلم أهلها من دون قتال، فكانت من البلاد التي أفاءها الله على رسوله، مما لم يُوْجَفْ عليها بخيل، ولا ركاب، فكانت خاصة به، يصرف ما يجبى من غلتها على ما يراه من نفقاته ومصالح المسلمين حيث صالح أهلها على ما صالح عليه أهل (خيبر)، ولكنها لم تقسم غنائم على الغزاة– كما حدث في غنائم خيبر – ولما توفي الرسول – عليه الصلاة والسلام – طالبت

ابنته فاطمة وزوجها علي، الخليفة أبا بكر الصديق- رضي الله عنهم - بأن يدع لهما (فدك) إرثاً، فأبى وقال: إنه ثبت قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة". فكان هذا مما أحدث تأثراً استمر طيلة عهود الخلفاء بينهم وبين أقارب النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل علي وغيرهم، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فردّها عليهم، وبعد وفاته عادت على ما كانت عليه حتى عهد المأمون الخليفة العباسي المعروف، فردها إلى آل أبي طالب، فقال في ذلك دعبل الخزاعي الشاعر:

أصبح وجه الزمانِ قد ضحكا بِـــردِّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكَا

ولن أسترسل في الحديث عن (فدك) فقد فصلته في كتابي "في شمال غرب الجزيرة"[٨].

وعمّت الجزيرة العربية منذ انتقال قاعدة الخلافة منها إلى (دمشق) ثم (بغداد) وانصراف الخلفاء عنها - عمتها غمرة من الجهل، كان من أثرها أن عاد أكثر سكانها من أبناء البادية إلى عهود الفوضى، فعمّ العداء بين القبائل وثارت الفتن، واضطرب الأمن، فلم يستطع المعنيون باللغة أو تحديد المواضع التاريخية التجول في البلاد، واعترى كثير من المسميات من التغيير، بسبب تنقل القبائل، مِمّا أخفى الكثير منها، ومن ذلك اسم (فدك) وهو اسم غريب عند العامة، الذين كثيراً ما يغيرون الأسماء الغريبة بأسماء مألوفة معروفة، واسم (فدك) عرف منذ عهد سحيق في القدم، فقد ذكر علماء الآثار أنه من المدن التي احتلها الملك البابلي (نيوبند) في القرن السادس قبل الميلاد (٥٥٦-٥٣٩ قبل الميلاد)[٩].

إذَنْ لا غرابة بأن يقول عالم هو الفيروز ابادي محمد بن يعقوب (٧٢٩/٨١٧هـ) حين اتجه لتحديد الأمكنة التي لها صلة بالمدينة المنورة في كتابه "المغانم المطابة في معالم طابة" ما نصه[١٠]: (وأغرب من ذلك أني سألت

جماعات من أشراف المدينة الأمراء بها، ومن الفقهاء والسوقة عن (فدك) ومكانها فكلهم عن بَوَاءٍ واحدٍ: أجابوا بأنه لا يُعرف في بلادنا موضع يدعى فدك. وهذه القرية لم تبرح في أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونها، ناس عن ناس إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبل صغير واقع في طرف أحد، لا يتعلق به كبير أمر؟!).

لقد كان من الميسور لكل باحث يتمكن من دراسة النصوص الواردة عن المتقدمين بمحاولة تطبيقها على مشاهداته في منطقة (خيبر) في عهد استتباب الأمن في هذه البلاد أن يصل إلى ما وصلت إليه من معرفة موقع (فدك) الذي غُيِّرَ اسمه إلى (الحائط) كما غُيِّرَ اسم موضع آخر بقربه هو (يديع) بمثناة تحتية بعدها دال مهملة فمثناة تحتية، فعين مهملة إلى (الحُوَيْط).

إنّ (فدك) الذي ثبت لدي ثبوتاً لا يتطرق الشك إليه هو المعروف الآن باسم (الحائط) وهذا الاسم ينطبق على وادٍ كثير النخل، يتبعه عدد من القرى في شرق منطقة (خيبر) تزيد على الثلاثين، ومن أكبر هذه القرى (يَدِيْع) المعروفة الآن باسم (الحويط)، وكل المنطقة ملحقة بإمارة (حايل)، بينما بقية ما في واحة (خيبر) من القرى تابع لإمارة (المدينة المنورة)، ويقع (الحائط) هذا بقرب (خط الطول ٢٩/ ٤٠ْ وخط العرض: ٥٩/ ٢٥ْ) ويقع في الجنوب الغربي بالنسبة لمدينة (حايل) القاعدة، على نحو مئتين وخمسين كيلاً، بينما يقع جبل (سَلْمَى) بالنسبة لهذه المدينة جنوباً بنحو ستين كيلاً.

و(فيد) و(ركّ) يقعان في سفحها الشرقي، ويقع جبل (سلمى) هذا بقرب (خط الطول: ٠٩/ ٤٢ْ وخط العرض: ٠٧/ ٢٧ْ).

مما تقدم يتضح أن صواب بيت زهير:

..... ماء بشرقي (سلمى) (فيـــد) أو (ركك)

ولا تفوت الإشارة إلى أن الشاعر زهيراً قال هذا القصيـــدة حيـن أغـار الحارث بن ورقاء الصَّيْداوي من بني أسد على بني عبد الله بن غطفان، فاستاق إبل زهير، ولهذا ورد في القصيدة:

لئن حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أســـــدٍ في دين عمرو وحالتْ بيننا فَدَكُ
ليـــــأتينّك مِنّـــي منطـــقٌ قَذِعٌ بســـاقٍ كما دنّس القِبطيةَ الودكُ

و(خَوٍّ) ورد في كثير من المؤلفات مصحفاً (جو) وصوابه بالخاء المعجمة وهو واد في ديار بني أسد فيه منهل يدعى الخوة.

وخو هذا الذي في بلاد بني أسد على ما يتضح من تحديد المتقدميـــن لـــه ينطبق على أعلى وادي المخلاني (أي أعلى وادي مُبْهل) المتقدم ذكره، أي بقرب (خطي الطول: ١٠/٤٢° و١٥/٤٢° وخطي العرض: ١٠/٢٦° و٣٠/٢٦°).

وعمرو المذكور هو الملك ابن هند، ويبدو أن نفوذه كان ممتداً إلى منطقة (خيبر) وفيها (فدك).

الحواشي

(١) "مجلة مجمع اللغة العربية الأردني" ع٥٥ س٢٢ ذو القعدة - ربيع الآخر ١٤١٩ ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٣) ديوانه ص٧٤.

(٤) "طبقات فحول الشعراء" ٨٩.

(٥) قسم شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية" ٢/٥٩٤.

(٦) "التعليقات والنوادر" ٣/١٤٧٨ و(نبهان) جبل سلمى كان (لبني نبهان) من طيء.

(٧) "الأمكنة والمياه والجبال والآثار" باب مفردات حرف الراء، والكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد أوشكت على الانتهاء من تحقيقه.

(٨) من ص٢٨٥ إلى ٣١٠ طبع دار اليمامة.

(٩) الدكتور عبد الرحمن الأنصاري "لمحات عن بعض المدن في شمال غرب الجزيرة" مجلة "الدارة" ١/٨٢.

(١٠) ص٨٢ من القسم الجغرافي الذي نشرته منه.